قائد محور المقاومة رمز لاحترام السيادة الوطنية للبلدان

بقلم: محمد اسدي موحد (باحث وأستاذ جامعة)

لا شك في أن منطقة غرب آسيا، منطقة مليئة بالتحديات والازمات حيث تتضارب فيها المصالح وتسود فيه حالة من عدم التفاهم في الأبعاد السياسية والاقتصادية والاستراتيجية وحتى الثقافية، ومن أهم الحلول التي طالما أكد عليها المؤسس العظيم للثورة الإسلامية، هو إزالة تواجد الأجانب من المنطقة. ويمكن القول بحزم أن أحد أكثر الشخصيات الدولية تأثيراً في عصرنا الراهن هو الشهيد اللواء قاسم سليماني، الذي تمكن بحضوره الفعال على الساحة الدولية، بالإضافة إلى إعادة الأمن والاستقرار إلى دول مثل سوريا والعراق ،ان يترك تاثيرا كبيراعلى خطاب المقاومة. ويمكن الادعاء بأن خطاب محور المقاومة ينقسم إلى فترتين قبل وبعد استشهاد اللواء سليماني.

ان تواجد اللواء سليماني في مختلف الساحات الدولية، أحيانًا كدبلوماسي، يدخل في معارك سياسية مختلفة، وأحيانًا كقائد عسكري او حسب تعبير الشهيد نفسه كـ(جندي الولاية) يجازف بحياته من اجل الحفاظ على استقرار وأمن المنطقة. والى جانب الإنجازات العديدة التي حققها، كان قد برهن واكد بوضوح على الاتجاه الخبيث لأمركة حقوق الإنسان. فكان وعي ويقظة اللواء الشهيد، خاصة في حرب الـ ٣٣ يومًا، وكذلك في سوريا والعراق، من أبرز عوامل المقاومة ضد فرض الهيمنة الأمريكية، حيث استهزأ بمزاعم أمريكا التي تعتبر نفسها المنقذ الدولي، واستشهاده على أيدي الأمريكيين بدوره يؤكد مدى تأثير الحاج سليماني في تشويه صورة أمريكا وتبيين حقيقتها التي تؤكد على حتمية زوالها. وبعد استشهاده بفترة وجيزة، أكد الهروب المشين للجنود الأمريكيين من أفغانستان صحة هذا الأمر وجعله أكثر وضوحًا.

كانت جهود الشهيد قاسم سليماني خلال خدمته الجهادية تركز على موضوع إحلال السلام والاستقراروالأمن في منطقة

غرب آسيا حتى يستفيد العالم أجمع من هذا الأمن والاستقرار. فكان دائمًا يبذل كل جهوده ومساعيه من أجل تحرير شعوب وأبناء المنطقة وطرد الأجانب منها، كما بذل كل جهوده من أجل اجتثاث جذور الفوضى وانعدام الأمن، وشكل قوات لتكون اداة ووسيلة لأقرار السلام واستتباب الأمن في المنطقة، قوات تتمكن من مواجهة التحديات التي تهدد امن واستقرار المنطقة وتتفوق عليها.

وقد أدى الشهيد سليماني دورًا حيويًا في مواجهة ومحاربة الإرهاب التكفيري وإرساء السلام والأمن في المنطقة. وإلى جانب إنهاء جماعة داعش وتقليص تهديداتها حتى لأوروبا، تمكن من الحيلولة دون تجزئة وتقسيم دول المنطقة وكان بالفعل مهندس فشل المخططات الأمريكية في المنطقة. من هنا ينبغي أن نعتبر الشهيد سليماني رمزاً لاحترام السيادة الوطنية للبدان الأخرى وصيانة جميع أراضيها، وإلى جانب ذلك، ينبغي ان لا ننسى استراتيجيته في التقريب بين بلدان المنطقة من بعضها البعض خلال الأزمات والمواقف الحرجة.

والحقيقة ان الشهيد سليمانى كان من العباقرة في مجال تقديم نموذج للدفاع المحلي في دول المنطقة، وأدت جهوده إلى تعزيز واستقرار قواعد القوة لبلدان المنطقة وخلق نظرية للأمن الإقليمي. ويمكن رؤية دوره الحيوي الآخر في الامتداد والتطورالجغرافي لمحور المقاومة. والواقع إن الامتداد والتطور الجغرافي لمحور المقاومة، وتشكيل محور المقاومة، وتغيير توازن القوى في المنطقة لصالح تيار المقاومة، كان حصيلة جهاد ونضال الشهيد سليماني وخدمته كجندي للولاية طيلة حوالي أكثر من اربعين عامًا. كما ان تحول وتغيرخطاب محور المقاومة من خطاب تثبيت القوى إلى موضوع تطوير حجم قوتها ترك تأثيراً هائلاً على معادلات وموازنات القوى وتغييرها في المنطقة.

فالجهود التي بذلتها قوات محور المقاومة بقيادة اللواء سليماني ،جعلت جميع الجهات المتخاصمة ترضخ لموضوع مهم وهو رعاية مصالح المسلمين باعتباره امر واجب. ومن ناحية أخرى، ادى تحالف الجيش العراقي وقوات الحشد الشعبي وكبار قادة محور المقاومة مثل اللواء سليماني وابو مهدي المهندس الى فشل سياسة اميركا وأذنابها الرامية الى تأجيج الصراعات الطائفية في المنطقة. ونتيجة لهذا التحالف، تم إنزال علم الحكم الذاتي لكردستان العراق، وإحدى مراحل نضوج هذا التحالف هو تغيير الخطاب الرئيسي للمقاومة من تعزيزوتثبيت القوة والقدرة إلى تطوير القوة والقدرة وامتدادها بعد استشهاد اللواء قاسم سليماني.

في الواقع، ينبغي اعتبار فترة قيادة اللواء سليماني لجبهة المقاومة فترة متواصلة لتعزيز وترسيخ قوة الإسلام في المنطقة. فقبل استشهاده، أدى التحالف العربي الإسرائيلي الأمريكي إلى هيمنة افرزت حروب إقليمية وتصاعد في حدة الصراعات، الا ان الدخول الدبلوماسي والجهادي لقائد محور المقاومة جعل هذه الهيمنة تواجه تحديات عديدة فأبطل مفعولها وازال دورها.

ويمكن اعتبار عمر وحياة خطاب المقاومة بأنه مر في مرحلتين، مرحلة ما قبل استشهاد اللواء سليماني ومرحلة مابعد استشهاده. وإذا كان هذا الخطاب في الفترة التي سبقت استشهاد اللواء الحاج قاسم سليماني يؤكد على موضوع تثبيت وتعزيز واستقرار القوى، فهو الآن يؤكد على موضوع تطوير القوة وتنامي امتدادها ودورها، وهذا الأمر بطبيعة الحال اربك الموازنات الدولية، ولعله يمكن اعتبار هذه المرحلة مرحلة نضوج واحدة من اهم انجازات قائد محور المقاومة.